Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

البيمَارستان العَضُدي في بغداد (٣٧١- ٦٥٦هـ / ٩٨١-١٢٥٨م) دراسة في تطوره التاريخي ودوره الحضاري

محمد عبدالله القدحات

أستاذ مشارك
قسم التاريخ - كلية الآداب
والعلوم الاجتماعية
جامعة السلطان قابوس
qadahat@hotmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٨/٠٥/٠٧
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٨/١٠/١٣

البيمَارستان العَضُدي في بغداد (٣٧١- ٦٥٦هـ / ٩٨١-١٢٥٨م) دراسة في تطوره التاريخي ودوره الحضاري

محمد عبدالله القدحات

الملخص:

ازدهرت البيمارستانات في الحضارة الإسلامية، فتعددت أنواعها، منها ما خصص لعلاج أمراض بعينها كالجذام والأمراض العقلية، ومنها ما كان ذا طبيعة عامة لعلاج مختلف الأمراض. كان البيمارستان من جملة المباني الخدماتية التي حرص الخليفة المنصور على تضمينها مدينته المدورة. ثم توالى إنشاؤها في بغداد حتى بلغت خمسة في القرن الرابع الهجري. وعلى الرغم من ظهور البيمارستانات إلا أن مهنة الطب ظلت تمارس من قبل فئة لا تتوفر فيهم المؤهلات الطبية، فعمت الفوضى وانتشرت الأخطاء الطبية، مما دفع الخليفة المقتدر بالله إلى اتخاذ قرار بهدف تقنين مهنة الطب وتنظيمها. كان افتتاح البيمارستان العضدي سنة ٣٧١هـ /٩٨١م تتويجا لمأسسة العمل الطبي ببغداد. وعلى الرغم من أن قواعده من عمل القائد التركي "بجكم"، إلا أن عضد الدولة أضاف إليه عدة مبان، كما جهزه بكل ما يحتاجه من خدمات، وقد أوكل المهمة للطبيب المشهور الرازي. ولأجل استمراريته وديمومته خصص عضد الدولة الأوقاف الكثيرة، لينفق من منتوجها على البيمارستان ونزلائه، وسار على نهجه من جاء بعده من الأمراء البويهيين. يمتاز البيمارستان العضدي عن سابقيه ظهور مفهوم الاختصاص الطبي؛ فقد قُسم إلى قاعات حسب الأمراض، واختير لمباشرة العمل في كل منها أطباء من ذوي الاختصاص، كذلك احتواؤه على قاعات خصصت لتدريس الطب النظامي، المقرون بالتدريب العملي في قاعات المرضى، يضاف إلى ذلك جهاز إداري يتولى تدبير أموره ونفقاته. استمر البيمارستان العضدي في أداء دوره الطبي والتعليمي حتى أواخر العصر العباسي حيث ناله من التخريب والتدمير ما نال البنية الحضارية لبغداد بعد الاجتياح المغولي لها سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

الكلمات المفتاحية: بيمارستان، بغداد، عضد الدولة، العصر العباسي، بويهي.

Al-Adudi Bimaristan in Baghdad (656-371 H /1258-981 BC) A study in its historical evolution and cultural role

Mohammad AbdAlla Alkadhat

Abstract:

Bimarstans flourished in the Islamic civilization and were various in types. Some were devoted to the treatment of certain diseases such as leprosy and mental diseases. Others were of a general nature and were devoted to treat various diseases. The Bimaristan was one of several service buildings that Al-Mansur was keen to include in his round city, Al-Modawarah. After that, establishing Bimaristans continued in Baghdad until there were five of them in the fourth Hijri century. Despite the emergence of Bimaristans, medicine was practiced by a category that did not have the necessary medical qualifications. Thus, the situation was chaotic where there were many medical errors. This prompted Caliph Al-Muqtadir to take the decision of regulating and organizing the profession of medicine. The inauguration of Al-Adudi Bimaristan in (371 H /981 BC) was the culmination of the institutionalization of medical work in Baghdad. Although the bases of this Bimaristan was the work of the Turkish leader Bajkam, Adud Al-Dawlah, also, added a number of buildings, equipped it with all needed services, and entrusted the task to the famous doctor, Al- Razi. To ensure continuity and progression of this Bimaristan, Adud Al-Dawlah allotted many Waqfs to benefit from in spending on the Bimaristan and its guests. Successor Buyid princes followed him in this approach. Al-Adudi Bimaristan was characterized by introducing the concept of medical specialties. It was divided into halls according to diseases, and specialized doctors were chosen to work in each hall. An additional characteristic was dedicating rooms for the teaching of medicine, coupled with practical training in patients' rooms, in addition to the administrative authority that manages the Bimaristan's affairs and expenses. The Bimaristan continued to perform its medical and educational role until the end of the Abbasid age, where it took its share of the destruction that was inflicted upon the urban structure of Baghdad after the Mongol invasion in (656 H / 1258 BC).

Keywords: Bimarstans; Baghdad; Adud Al-Dawlah; Abbasid era; The Boi era

المقدمة:

في فصل "صناعة الطب" يقول ابن خَلْدون: "هذه الصناعة ضروريَّة في المدن والأمصار؛ لما عُرِف من فائدتها؛ فإنَّ ثمرتَها حفظ الصِّحة للأصحَّاء، ودَفْع المرضَ عن المرضى بالمداواة، حتى يحصل لهم البُرء من أمراضهم" (ابن خلدون ١٩٨٨، ج١، ٥٢٠).

كانت لدى العرب قبل الإسلام أوليات في الطب فاشتهر عدد منهم في مجال المداواة، لكنها كانت محدودة؛ لذا كان الغالب في الأمر الطب الشعبي، الذي اقترن إلى حد كبير بالشعوذة والكهانة، وجاء الإسلام فأولى الرعاية الصحية عناية واضحة من خلال تعاليمه، فقد اقترنت الطهارة بمفهومها العام بأداء الكثير من فرائض الدين لا سيما الصلاة.

ومع انطلاق حركة الفتوحات الإسلامية، اطلع العرب المسلمون على تجارب الأمم الأخرى في مجالات الحضارة المختلفة ومنها الطب، فاستفادوا منها من خلال استقدامهم لأطباء تلك البلاد إلى الأمصار الإسلامية؛ ليتولوا مهمة الرعاية الصحية فيها. كانت تلك التجارب محدودة حتى جاء العصر العباسي الذي شهد نشاطا علميا كبيرا، تمثل في حركة الترجمة، فقد أولى الخلفاء العباسيون العلوم الطبية عنايتهم من خلال تشجيع حركة الترجمة ونقل العلوم الطبية من مصادرها اليونانية مباشرة.

ومع الأيام بدأ يتشكل ما يمكن تسميته "نواة العلوم الطبية المعربة" التي أخذت تكبر وتنمو لتتحول بفضل تضافر جهود الدولة مع أولئك العلماء لينتج عنها في النهاية - إن جاز التعبير- المؤسسة الطبية الرسمية، وكانت البيمارستان من أهم مظاهرها.

مشكلة الدراسة والمنهج المتبع:

لم تكن الرعاية الصحية وليدة ترف حضاري، بل حاجة ملحة للمجتمع، فلم تعد الممارسات الشعبية مقبولة في ظل حضارة إسلامية أبدع أبناؤها في مختلف العلوم نقلاً وترجمةً وتصنيفاً؛ لذا فالدراسة تهدف إلى الإجابة عن عدة تساؤلات، أهمها:

- كيف أثرت حركة الفتح الإسلامي والاطلاع على تجارب الأمم الأخرى في انتقال المسلمين من الطب الشعبي إلى الممارسة العلمية؟
- ما هي الأسباب التي دفعت الخلفاء والأمراء - ومنهم عضد الدولة البويهي- لإنشاء البيمارستانات؟
- هل أسهم البيمارستان العضدي في تنظيم وتقنين العلوم الطبية وممارستها؟
- كيف أسهم الوقف في دعم وتوفير الرعاية الصحية في البيمارستان العضدي؟

وفي سبيل ذلك، اتبع الباحث المنهج التاريخي القائم على جمع الروايات المتناثرة في المصار التاريخية المختلفة، وإخضاع ذلك كله للمنهج التحليلي؛ للخروج بدراسة متكاملة توضح وتجيب عن الأسئلة السالفة (مشكلة الدراسة).

تمهيد: ظهور البيمارستانات في الحضارة الإسلامية

"البيمارستان" لفظة فارسية الأصل، مُركّبة من كلمة "بيمار" ومعناها: مريض أو مُصاب، و"ستان" معناها: دار. وبهذا يكون معنى "مارستان": "دار المرضى"، واختُصِرَت فيما بعد في الاستعمال فأصبحت تُلفَظ "مارستان". والمارستان والبيمارستان شيء واحد من حيث اللغة والاصطلاح، ويدلان على مكان مخصص لاستقبال المرضى على اختلاف درجات المرض وأنواعه (ابن منظور، ١٩٩٧، ج٦، ٢١٥؛ العلوجي، ١٩٦٧، ١٣٥). وأُطلِقَت لفظة البيمارستان على المستشفيات في العصور الإسلامية[١] التي تعالج فيها جميع الأمراض الباطنية والجراحية والرَمَدِية والعقلية. وهي إحدى المؤسسات الخيرية التي ساهم في تشييدها الخلفاء والأمراء والوزراء والميسورون من المسلمين، من الرجال والنساء، صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية، وتخليدا لذكرهم[٢].

شهد العصر الأموي محاولات لتشييد البيمارستانات. ويعتبر معاوية بن أبي سفيان من أوائل من أنشأ البيمارستان الإسلامي في دمشق عام ٦٠هـ/٦٧٩م. كما عُرف عنه اهتمامه بالبيمارستانات المتنقلة الخاصة بالحجيج، وعين لهم الأطباء. وشهد عهد الوليد ابن عبد الملك إنشاء أول بيمارستان فعلي ثابت أسكن به العميان وحبس المجذومين حتى لا تنتقل العدوى للعامة وأجرى عليهم الأرزاق، وجعل لكل مقعد خادمًا ولكل ضرير قائدًا (الطبري، ١٩٦٧، ج٦، ٤٩٦). وفي عهد عمر بن عبد العزيز تم إنشاء ملجأ للفقراء، مزود بالأدوية والعقاقير، وما يحتاجه المرضى[٣].

لذا يمكن القول إن بدايات ظهور البيمارستانات في الحضارة الإسلامية كانت بسيطة، تطورت وازدهرت بشكل موازٍ لازدهار الحضارة الإسلامية في القرون التالية، وتوسعت وأخذت شكلها المتكامل، بعد أن أدخل عليها الكثير من الإضافات والتحسينات. وبلغت ذروتها زمن العباسيين؛ لذلك نرى أن المفهوم الحقيقي للبيمارستان كمؤسسة طبية وعلاجية لم تظهر إلا بعد قيام الدولة العباسية، حيث غدت البيمارستانات مؤسسات تجمع بين التطبيب والتعليم، انتظمت من خلالها مهنة الطب، واستُبعد عن ممارستها أولئك الذين يدعون المعرفة الطبية أو المشعوذون.

كان المرض الذي ألمَّ بالخليفة المنصور[٤] عاملا عجل باتخاذه قرارا بإنشاء بيمارستان ببغداد، مستغلا وجود الطبيب جورجيوس[٥] الذي قدم لعلاجه من جند سابور[٦]، فأوكل إليه مهمة الإشراف على إنشائه وتصريف أموره (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ١٦٤).

يبدو أن خطوة المنصور كانت دافعا لمن جاء بعده من الخلفاء، فساروا على خطاه في توفير الرعاية الصحية لسكان بغداد، فأسس الرشيد بيمارستانا آخر[٧]. وفي عهده كذلك أنشأ البرامكة بيمارستانا آخر ببغداد. أشار إلى ذلك النديم في حديثه عن ابن دهن الهندي المشهور بالنقل والترجمة من الهندية إلى العربية، والذي" كان إليه بيمارستان البرامكة" (النديم، ١٩٩٧، ٣٠٤). وبنى المأمون مَأوًى للأيتام والنساء العاجزات (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٢٢٢).

ويعدّ إنشاء البيمارستان المعروف بـ "باب محول" خطوة متقدمة في تطور البيمارستانات ببغداد من حيث طبيعة البناء وآلية عمله. فقد أمر الخليفة المعتضد (ت٢٨٩هـ/٩٠٢م) بإنشائه في الجانب

الغربي من بغداد. وعُرف هذا البيمارستان بـ "الصاعدي"، أو "العتيق". (عيسى، ١٩٨١، ١٩٩؛ معروف، ١٩٦٨، ٢٨٧).

وسار بدر الدين[٨] غلام الخليفة المعتضد على خطى سيده، فقام بتشييد بيمارستانه في المُخرَّم[٩]، والذي عُرف بالبيمارستان المعتضدي، وكان مصدر نفقات هذا البيمارستان من أوقاف السيدة سجاح أم الخليفة المتوكل على الله (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٩، ٢٧٧- ٣٠١).

شهد مطلع القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي خطوة عملية مهمة اتخذها الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥ -٣٢٠هـ/ ٩٠٧-٩٣٢م) تتعلق بتقنين وتنظيم ممارسة مهنة الطب، بعد أن ظهر العابثون والمدعون. فما أن وصلت إلى أسماعه قصة موت مريض بسبب خطأ طبي، حتى أصدر الخليفة في سنة ٣١٩هـ\ ٩٣١م أوامره إلى المحتسب بمنع ممارسة المهنة إلا بعد اجتياز امتحان يخصص لهذه الغاية، وأسند هذه المهمة إلى الطبيب سنان بن ثابت بن قرة[١٠] أشهر أطباء عصره (القفطي، ١٣٢٦هـ، ١٣٠؛ ابن أبي أصيبعة، ٢٧٨؛ سورينا ٢٠٠٢، ٩١). وقُدِّر عدد الذين تقدموا للاختبار قرابة تسعمائة طبيب. وتعد هذه الخطوة مهمة في تاريخ ممارسة مهنة الطب، حيث ظهر مفهوم الاختصاص، فقد أمر الخليفة سنان بن ثابت بتحديد "ما يَصْلُحُ التصرف فيه من الصناعة" (ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٣، ١٧٨؛ القفطي ١٣٢٦هـ ١٣٠)، لذا يمكن القول إنّ مهنة الطب أخذت تتطور نحو العمل المنظم منذ القرن الرابع الهجري، لها قواعدها وأصولها، ترعاها وتشرف عليها مؤسسة استحدثت لهذه الغاية عرفت بـ "رئاسة الطب". وممن أشارت المصادرإلى توليه هذا المنصب الطبيب أمين الدولة هبة الله بن أبي العلاء ابن التلميذ (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م) (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٢٣).

في الوقت نفسه، شهد القرن الرابع ازديادا ملحوظا في عدد البيمارستانات في بغداد حتى بلغ عددها خمسة، أنشئت جميعها بمعرفة ومشورة الطبيب سنان بن ثابت. فقد أشار الطبيب على الخليفة المقتدر بإنشاء بيمارستان بباب الشام[١١] من بغداد. وكانت نفقاته الشهرية مائتي دينار (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٣، ١٧٨؛ ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٢٧٨).

وفي العام ٣٠٦هـ/٩١٨م افتتح بيمارستان السيدة شغب والدة الخليفة المقتدر. وقد أنشئ البيمارستان بسوق يحيى[١٢] على دجلة (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٣، ١٧٨). وبلغت تكاليف إنشائه سبعمائة ألف دينار (الذهبي، ١٩٨٥، سير ج١٥، ٤٩). وكانت نفقاته الشهرية ستمائة دينار (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٣، ١٧٨؛ العمري، ٢٠٠٣، ج٩، ٤٢١؛ الذهبي، ٢٠٠٣، ج٧، ١٤).

ويبدو أن ما قام به الخليفة المقتدر قد شجع وزيره علي بن محمد ابن الفرات[١٣] على إنشاء بيمارستان آخر ببغداد (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٢٨٠).

وبعد أن استولى "بجكم" على الحكم ببغداد[١٤] اختار سنان بن ثابت ليكون طبيبه الخاص، والذي أشار عليه بتشييد بيمارستان جديد ببغداد (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٤، ١٠؛ القفطي، ١٣٢٦هـ ١٣٢).

عضد الدولة البويهي وإنشاء البيمارستان العضدي

كانت الرعاية الصحية من جملة الخدمات التي أولاها البويهيون عنايتهم بعد سيطرتهم على بغداد[١٥]. فقد أمر معز الدولة عام ٣٥٥هـ/٩٦٦م بإنشاء بيمارستان ببغداد. وخصص لعمارته جملة أوقاف منها ضياع في ريف بغداد[١٦] بلغ حاصلها في العام خمسة آلاف دينار. لكن الموت غيبه قبل الانتهاء من إتمام مشروعه الطبي (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٣، ١٧٥).

استطاع عضد الدولة (٣٣٨- ٣٧٢هـ/ ٩٤٩- ٩٨٢م) أن يصبح من أهم أمراء البيت البويهي، فإنه لم يقنع بما تحت سيطرته من البلاد، فقد كانت عيناه ترنو إلى السيطرة على بغداد، وكان له ما أراد عام ٣٦٧هـ/ ٩٧٨م، بعد أن أقصى ابن عمه "بختيار" عنها. فخطب له على منابرها إلى جانب الخليفة العباسي (مسكويه، ٦، ٣٨٠-٣٩١؛ ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٤، ٢٥٦).

شهدت الحياة العلمية في عهده ازدهارًا واسعًا، حيث قرب إليه العلماء، وأكرم وفادتهم، وأغدق عليهم العطاء، وكان الأمير عضد الدولة البويهي محبًّا للعلوم، حريصًا على تقريب العلماء من حضرته؛ وكان مجلسه منتدى يجتمع فيه الفقهاء والمحدثون والنحاة، والأدباء والشعراء، والأطباء والمهندسون، تدور فيه المناقشات العلمية، وكان عضد الدولة يشترك معهم في هذه المناقشات، فقصَدَه العلماء من كلِّ بلد، وصنَّفوا له كتبًا كثيرة من أهمها: كتاب "الحجة في القراءات السبع"، و"كتاب الإيضاح في النحو"، ومنها "الكناش العضدي في الطب"، وغيرها من المقالات الرياضية والرسائل الهندسية (الروذراوري، ٢٠٠٠، ج٧، ٨٨).

كانت الرعاية الطبية من جملة اهتمامات عضد الدولة، فيظهر أن خطوة معز الدولة البويهي المتمثلة في إنشاء بيمارستان ببغداد، شجعت خلفه عضد الدولة للقيام بمشروع يفوق كل المشاريع الصحية السابقة من حيث الفخامة وطبيعة الخدمات التي يقدمها؛ لذلك نجده في سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م يصدر أوامره بإنشاء بيمارستان عرف باسمه "العضدي". وقد استغرق إنشاؤه ثلاث سنوات، وتم افتتاحه عام ٣٧١هـ /٩٨١م (ابن الأثير، ٢٠١٠، ج٧، ٣٧٦).

تحديد موقع البيمارستان العضدي

اتفق المؤرخون على اختيار عضد الدولة للجانب الغربي من بغداد، إلا أن اختلافا وقع بينهم في تحديد المكان الدقيق الذي أنشىء فيه، فالبعض أشار إلى أنه كان على أنقاض قصر الخُلد (المقدسي، ١٩٧٨، ١٢٠)، وأشار البعض إلى أن بناءه تمّ في خرابة دار ابن حمدان بالجانب الغربي من بغداد. قال ابن الكازروني في وصفه لمآثر ومنجزات عضد الدولة البويهي: "ومن آثاره إنشاء البيمارستان العضدي بالجانب الغربي في خراب دار ابن حمدان" (ابن الكازروني، ١٩٧٠، ١٩٣).

لكن ياقوت لم يجزم بأنه أقيم على أنقاض قصر الخلد؛ إذ قال في تحديد موقع قصر الخلد: "وكان موضع البيمارستان العضدي اليوم أو جنوبه"(ياقوت ١٩٩٥، ج٢، ٣٨٢).

وكان صاحب كتاب الحوادث، وهو مؤرخ بغدادي عاش في

القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، قد قدم وصفا قائما على المشاهدة، فأكد على حقيقة أن البيمارستان كان إلى جوار الخلد، وليس على أنقاضه. قال في أحداث غرق بغداد سنة (٦٤٣هـ/١٢٤٥م): "وتجمّر الماء بدجلة، وزادت زيادة عظيمة، غرقت الشطانيات بالجانب الغربي من بغداد، ومن فتحة انفتحت فوق قبر أحمد، غرق منها: محلة الحربية والكرخ والبيمارستان والخلد" (مجهول، ١٩٩٧، ٢٧٣).

ومسألة أخرى لا بد من توضيحها مرتبطة بالسابقة، وهي هل أنشئ البيمارستان بكل تفاصيله في عهد عضد الدولة، أم كان عمله تجديداً وإضافة لعمل من سبقه؟

في معالجة هذه المسألة، لا بد من التوضيح أن عضد الدولة كانت لديه الرغبة وبتشجيع من الطبيب محمد بن زكريا الرازي (ت٣١١هـ/ ٩٢٣م) على إنشاء مؤسسة صحية تخلد ذكره؛ لذا أصدر أوامره إلى طبيبه الرازي ليتولى مهمة اختيار المكان. ولما كان البيمارستان المنوي تشييده يحتاج إلى مواصفات خاصة من حيث طبيعة المناخ والبيئة، نجد أن الرازي قام بجولات عدة في بغداد وحولها. وتوصل إلى قناعته في اختيار المكان الذي سيشيد فيه البيمارستان بعد إجراء سلسلة من التجارب للكشف عن طبيعة وبيئة المكان. وبعد مشاورات الطبيب وسيده، أخذ عضد الدولة بمشورة الطبيب الرازي لآلية اختيار المكان، فأمر "بعض الغلمان أن يعلق في كل ناحية من جانبي بغداد شقة لحم، اعتبر التي لم يتغير ولم يسهك (يتعفن) فيها اللحم بسرعة، فأشار أن يُبنى في تلك الناحية، وهو الموضع الذي بُني به البيمارستان"(ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٨٠).

هنا تبرز مسألة تحديد المكان الدقيق الذي أنشئ فيه البيمارستان، هل كان العمل تجديدا لبناء سابق، أم أن البيمارستان بكافة تفاصيله من إنشاء عضد الدولة؟

وهنا لا بد من استطلاع آراء بعض المؤرخين البغداديين الذين ذكروه، ومنهم المؤرخ ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) والمشهود له بتتبع تفاصيل خطط بغداد عبر العصور التي سبقته، فقد أوضحت روايته أن ما قام به عضد الدولة ما هو إلا استكمال لعمل من سبقه، ونقصد به البيمارستان الذي وضع قواعده القائد التركي بجكم ، قال ابن الجوزي في ترجمة بجكم[١٧]:" وبنى دار ضيافة للضعفاء والمساكين بواسط، وابتدأ بعمل المارستان ببغداد وهو الذي جدده عضد الدولة، وكانت أمواله كبيرة" (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٤، ١٠).

وفي موضع آخر أشار ابن الجوزي بصراحة إلى عدم إكمال بجكم التركي لعمله، فقد غيبه الموت قبل تحقيق رغبته، قال ابن الجوزي: " وكان بجكم قد عمل مارستان فشرع فلم يتم فعمله عضد الدولة" (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٤، ١٠).

وأكد على هذه الحقيقة ابن أبي أصيبعة في ترجمته للطبيب الرازي: " وإنما كان تردده إلى البيمارستان من قبل أن يجدده – أي عضد الدولة- من أحوال المرضى الذين كانوا يعالجون به". (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٨٠).

إن الأسباب التي دفعت المؤرخين إلى نسبة العمل إلى عضد الدولة هي الرعاية التي أولاها إياه، فلم يكتف بما شيده "بجكم"، بل أضاف إليه عدة مبان جديدة، وأقساما أخرى لم تكن متوفرة في عمل من سبقه، حتى غدا يحوي عدة مبانٍ متقاربة وواسعة، "يأوي إليها المعوزون من المرضى" (التطيلي، ٢٠٠٢، ٢٩٨).

لم تتوقف مهمة عضد الدولة على الجانب العمراني للبيمارستان، بل كانت رغبته قد تعدت إلى الإشراف بنفسه على اختيار الأشخاص المؤهلين للعمل في بيمارستانه، كما أخذ برأي الطبيب الرازي والذي كلفه بمهمة الإشراف الطبي على البيمارستان في تحديد طبيعة العمل، من خلال تأكيده على اختيار الأطباء وفق اختصاصات دقيقة، يعمل كل منهم ضمن القسم الخاص بكل مرض.

البيمارستان العضدي في أواخر العصر العباسي

شهد القرن الأخير من عمر الخلافة العباسية مرحلة إحياء لمؤسسة الخلافة العباسية، حيث أسهمت جملة من الظروف في تحقيق تلك النهضة، أهمها تولي الخلافة عدد من الخلفاء أصحاب الهمة والطموح. كانت البداية مع الخليفة المقتفي (٥٣٠-٥٥٥هـ /١١٣٥- ١١٦٠م) حيث شهد عصره نهاية الوجود السلجوقي ببغداد[١٨].

وجاء من بعده الناصر لدين (٥٧٥ -٦٢٢هـ/١١٧٩- ١٢٢٥م) الذي استطاع تحقيق الاستقلال لمؤسسة الخلافة العباسية، وأصبح يحكم بغداد منفردا[١٩]. وشهد عهده اهتماما بالشؤون الداخلية في دولته، فقد رأى الناصر أن الاهتمام بالمجتمع وحاجاته ضروري لخلق جبهة داخلية متماسكة. لذلك نجده مهتما بالعمران لا سيما العمارة التي تخدم العامة. فقد بنى في سنة (٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) دارا للكتب بالمدرسة النظامية، ونقل إليها عشرة آلاف مجلد، واهتم بعمارة الرُبط (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٤، ج١٤، ٤١١). وفي عهده تم استحداث "ديوان الأبنية"، لأجل الإشراف على العمران والبناء في كافة المناطق الواقعة تحت نفوذ الخلافة (الأيوبي، ١٩٦٨، ٩٢، ١٧٠). كما أنشأ الناصر عام ٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م دور الضيافة في كافة أنحاء بغداد؛ لتكون مكانا يفطر فيه الفقراء في شهر رمضان (ابن الساعي، ٢٠١٠، ج٩، ٢٢٩). ثم بنى دارا لوفود الحجاج والغرباء (الإربلي، ١٩٧٤، ٢٠٨؛ ابن الساعي، ٢٠١٠، ج٩، ٢٥٥).

حظي البيمارستان العضدي برعاية خاصة من قبل مؤسسة دار الخلافة خلال هذه الفترة من عمر الخلافة العباسية. كانت بداية الاهتمام بشؤونه قد تمثلت بإسناد مهمة النظر في مصالحه إلى بعض العلماء المشهورين. وممن أشار المصادر إلى توليه تلك الوظيفة: الحسن بن محمد بن الحسن بن حمدون (ت ٦٠٨هـ/١٢١١م). جاء في ترجمته: "وكان قد ولي عدة ولايات، منها النظر في البيمارستان العضدي، وكانت هيبته فيه ومكانته أعظم من مكانة أرباب الولايات الكبار؛ لأن الناس يرونه بعين العلم والبيت القديم في الرياسة" (ياقوت، ١٩٩٣، ج٣، ٩٢). كذلك الأديب المشهور قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن فضلان (ت٦٣١هـ/١٢٣٤م) (مجهول، ١٩٩٧، ٩١). وأسندت مهمة النظر بالبيمارستان أيضا لشيخ الشيوخ أبي الفضائل عبد الرزاق بن

عبد الوهاب المعروف بابن سكينة (ت٦٣٥هـ /١٢٣٧م) (المنذري، ١٩٨١، ج٣، ٤٧٩). وتلاه أيضا محمد بن عبد الله بن أبي السعادات (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) أحد أعيان بغداد في وقته (ابن رجب ٢٠٠٥، ج٣، ٥٤٥).

ويعكس الرحالة التطيلي اهتمام الخلفاء بأمر المرضى والبيمارستان، فقد جاء في وصفه للخليفة المستضيء (٥٦٦- ٥٧٥هـ \ ١١٧٠ -١١٧٩) "وتشمل خيرات الخليفة كل من أمّ بغداد من المرضى والمجاذيب. فالخليفة جزيل الإحسان. همَه عمل الخير" (التطيلي، ٢٠٠٢، ٢٩٨). وأضاف "والخليفة يجهزهم بما يحتاجون إليه من بيت المال" (التطيلي ٢٠٠٢، ٢٩٨).

وبعد قرابة قرنين من الزمان كان البيمارستان العضدي من المشاهد المهمة التي استرعت انتباه الرحالة الأندلسي ابن جبير، الذي زار بغداد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م من خلال الوصف الذي قدمه مظهرا فيه إعجابه بعد جولة قام بها في أرجاء المكان. يقول ابن جبير: "وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم ما يحتاجون إليه، بين أيديهم قَوَمة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية. وهو قصر كبير فيه المقاصير والبيوت، وجميع مرافق المساكن الملوكية والماء يدخل إليه من دجلة" (ابن جبير،١٩٨١، ١٨٢).

التنظيم الإداري والطبي للبيمارستان العضدي

ارتبطت بدايات التنظيم الإداري للبيمارستان العضدي بشخص منشئه عضد الدولة، والذي أشرف بشكل مباشر على اختيار الأطباء المتميزين بعلمهم وعملهم للعمل في البيمارستان. فبعد مقابلات ومقارنات بين المتقدمين المئة وقع الاختيار على أشهرهم وكان الطبيب الرازي من جملة من تم اختيارهم، وقد أسند له عضد الدولة منصب ساعور[٢٠] البيمارستان. كان الرازي وهو الطبيب المشهور، والذي أتقن الطب وعاينه، وعمل في بيمارستان الرّي قبل ذلك، فوضع خلاصة تلك التجربة فيما أوكله إليه عضد الدولة من مهمة إدارية وطبية (الصفدي، ٢٠٠٠، ج٢١، ١٥٧).

انعكست طبيعة عمل البيمارستان على تنظيمه الإداري؛ لذلك فإن التنظيم الإداري سار عبر مسارين يكمل كل منهم الآخر: تنظيم إداري يشرف على عمل البيمارستان والعاملين به من حيث التجهيزات المادية والمالية، وتوفير ما يلزمه من تجهيزات، وعمارته ونحو ذلك. أما التنظيم الطبي، والذي كان يُسند في العادة إلى أحد مشاهير الأطباء، فكانت مهمته الأولى اختيار الأطباء والطاقم الطبي من معالجين وصيادلة ومختصين في تحضير الأدوية، وكذلك الإشراف على قاعات الدروس الطبية التي تعقد في قاعات البيمارستان، وتفقد سير العمل الطبي. وقد بلغ عددهم في النصف الثاني من القرن الخامس أربعة وعشرين طبيبا (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٤، ج١٩، ١٧).

لذلك فإن التنظيم الإداري كان يترأسه ناظر البيمارستان. ومهمته الإشراف على البيمارستان من ناحية الإدارة وتجهيزه بما يلزمه من مواد ومؤن وعمارة ونحو ذلك. وكانت هذه المهمة تسند في الغالب إلى أشخاص معروفين بعلمهم وقدراتهم الإدارية من غير الأطباء. فقد أسندت الخلافة النظر في البيمارستان إلى علي بن عبد العزيز بن أحمد الجزري الشيرازي القاضي (ت٣٩١هـ/١٠٠٠م) كان والده من أعيان الفقهاء على مذهب داود الظاهري، وكان قاضيا ببغداد، ولما توفي والده ولي القضاء ببغداد، ثم عزل وولِّيَ نظر البيمارستان العضدي (الصفدي، ٢٠٠٠، ج٢١، ١٥٦). وتولى نظره أبو طالب عبد الصمد بن المحسِّن الأستاني، المعروف بقاضي الشط (ت٥٠٠هـ/١١٠٦م) (ابن الفوطي ١٤١٦هـ ج٣، ٣٠٧).

شهدت إدارة البيمارستان العضدي في العصر العباسي الأخير رعاية خاصة من قبل مؤسسة دار الخلافة. وتمثلت تلك الرعاية بإسناد مهمة النظر في مصالحه إلى أحد كبار العلماء المشهورين. وممن أُسندت له مهمة النظر في البيمارستان الحسن بن محمد بن الحسن ابن حمدون (ت٦٠٨هـ/١٢١١م). جاء في ترجمته: "وكان قد ولي عدة ولايات، منها النظر في البيمارستان العضدي، وكانت هيبته فيه ومكانته أعظم من مكانة أرباب الولايات الكبار؛ لأن الناس يرونه بعين العلم والبيت القديم في الرياسة" (ياقوت، ١٩٩٣، ج٣، ٩٢). كذلك الأديب المشهور قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن فضلان (ت٦٣١هـ/١٢٣٤م) (مجهول، ١٩٩٧، ٩١). وأسندت المهمة أيضا لأبي الفضائل عبد الرزاق بن عبد الوهاب المعروف بابن سكينة (ت٦٣٥هـ /١٢٣٧م) (المنذري، ١٩٨١، ج٣، ٤٧٩). وتلاه أيضا محمد بن عبد الله بن أبي السعادات (ت٦٤٨هـ/١٢٥٠م) أحد أعيان بغداد في وقته (ابن رجب، ٢٠٠٥، ج٣، ٥٤٥).

ويتبع لناظر البيمارستان عدد من الموظفين، منهم: ناظر أوقاف البيمارستان (ابن عساكر ١٩٩٥، ج٥٤، ٦٩). كما يتبعه الخازن. ومهمته الإشراف على مخزن البيمارستان، وتأمين ما يلزمه من مواد: غذائية وعلاجية، وكل ما يحتاج إليه الأطباء والمقيمون في عملهم. ومما ذكره سبط ابن الجوزي من محتويات المخزن: الحبوب بأنواعها، والسكر الطبرزد[٢١]، وبراني[٢٢] الصيني التي تحتوي على العقاقير، وقواصر[٢٣] تحوي التمر الهندي والزنجبيل والعود والندّ والمسك والعنبر والترياق[٢٤]، إضافة إلى صناديق تحتوي على ثياب جدد للمرضى ومناديل، وصناديق أخرى للأكفان. ومن المستلزمات التي يحتاجها الطباخون القدور بأنواعها (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٤، ج١٩، ١٧) .

وتمثل الإدارة الطبية المسؤولة عن الجهاز الطبي في البيمارستان ركنا أساسيا في إدارة العمل الطبي الذي يخرج عن إطار العمل الإداري؛ لذا استحدث منصب الساعور (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٤٩).

كان الرازي أول من تولى منصب الساعور في البيمارستان العضدي بعد إنشائه مباشرة. وتولاه أيضا هبة الله بن صاعد بن هبة الله بن إبراهيم بن علي موفق الملك أمين الدولة أبو الحسن بن أبي العلاء، المعروف بابن التلميذ البغدادي الطبيب، الذي ظل ساعورا له حتى وفاته (ياقوت، ١٩٩٣، ج٦، ٢٧٧١؛ ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٢٠). وتولاه أبو الحسن بن سنان الصابئ سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٠٤)، وهارون بن صاعد بن هارون الصابئ (القفطي، ١٣٢٦هـ ٢٢١-٢٢٢). ويعد سعيد بن أثردي من أشهر الأطباء الذين تولوا منصب ساعور البيمارستان العضدي في أيام

الخليفة المقتفي ٥٣٠-٥٥٥هـ/ ١١٣٥-١٢٦٠م (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٦٦).

إضافة إلى ذلك فقد انعكست الاختصاصات الطبية على طبيعة العمل الطبي في البيمارستانات، حيث احتوى البيمارستان على عدد من الأقسام الطبية. ونستطيع تلمس هذا التنظيم من خلال المعلومات التي وردت في تفاصيل البيمارستان العضدي، فبعد الانتهاء من عمارته، قرر عضد الدولة اختيار النخبة من أطباء بغداد والبلدان المجاورة، وأسند مهمة الاختيار إلى الطبيب الرازي، وبعد اختبارات دقيقة، وقع الاختيار على أمهرهم، فاختير أربعة وعشرون طبيبًا في تخصصات مختلفة، وزّع هؤلاء الأطباء على أقسام البيمارستان. ومن طبيعة اختصاصات أولئك الأطباء يمكن تحديد الأقسام الطبية للمارستان.

ومن صور التنظيم الطبي للبيمارستان تحديد مواعيد ثابتة يتفقد بها الأطباء مرضاهم، فقد خصص يوما الاثنين والخميس من كل أسبوع لهذه الغاية (ابن جبير، ١٩٨١، ١٨٠).

ومن خلال ما ورد في المصادر التراجمية نستطيع أن نخلص إلى عدد من الأقسام الطبية التي يضمها البيمارستان. منها: قسم الطبائعيون (الأمراض الداخلية). ومن أطباء هذا الاختصاص: أبو الحسن بن كشكرايا المعروف بتلميذ سنان، وأبو يعقوب الأهوازي، وأبو عيسى بقية، والقسّ الرومي، وبنو حسنويه، وعبد الله بن جبرائيل الذي استقدمه عضد الدولة من شيراز. والذي خصص لعلاج "الخواص" من المجتمع (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٤١٤-٤١٥).

كما ضمّ البيمارستان قسماً للجراحة، فقد اختير كل من أبي الحسين بن نفاخ الجرائحي، الذي اشتهر في عصره بعلم الجراحة، وكذلك الطبيب أبو الخير الجرائحي ليتوليا أمر جراحة المرضى (القفطي، ١٣٢٦هـ ٢٦٣، ٢٦٥). في الوقت نفسه اختير الطبيب أبو نصر بن الدحلي ليتولى الإشراف ومعالجة أمراض العيون (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٤١٦).

وشمل البيمارستان قسم التجبير (العظام). فممن عمل مجبرا فيه شخص يدعى أبا الصلت (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٤١٦).

وضم البيمارستان قسما خاصا لرعاية المجانين (الغامدي، ٢٠١٦، ٤١). وهذا القسم كان من ضمن الأقسام التي أنشئت مع البيمارستان، والدليل على ذلك القصة التي ساقها القزويني في خيانة قاضي مدينة كرد فناخسر[٢٥] حتى صار يضرب به المثل حيث إن التاجر أودع أمانة عند القاضي، فأنكرها، وبعدد تكراره الطلب، هدد القاضي: "إنك رجل استولت السوداء على دماغك وأطعموك شيئاً، وإني ما رأيتك إلا الآن! دع عنك هذا الجنون وإلا حملتك إلى المارستان وأدخلتك في السلسلة! (القزويني (د ت)، ٢٤). وقد أشار إلى هذا القسم والذي يبدو أنه كان كبيرا، لدرجة أن خصصت له بناية مستقلة ملحقة بالبيمارستاني" وفيها أيضا بناية تدعى دار المارستان يأوى إليها المجانين المغلوبون على عقولهم". وهؤلاء المرضى يلقون رعاية من الأطباء، يتفقدونهم كل شهر، فمن وجدوه قد عاد لرشده، سمحوا له بمغادرة الدار والعودة إلى أهله (التطيلي، ٢٠٠٢، ٢٩٨). وجاء في ترجمة أبي الحسن سعيد بن هبة الله أنه" كان يتولى مداواة المرضى في البيمارستان العضدي، وأنه كان يوما في البيمارستان وقد أتى إلى قاعة المرورين (مرض الجنون) لتفقد أحوالهم" (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ٣٤٢).

ولكن هذا القسم الذي أنشئ لمعالجة المجانين ورعايتهم، استغل في حالات كثيرة كسجن لتصفية الخصوم (ياقوت، ١٩٩٣، ج٤، ١٨٥١). وجاء في ترجمة عبيدالله بن حمزة المعروف بابن المارستانية (ت٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م) "فلم تحمد سيرته، فقبض عليه وسجن في المارستان مدة مع المجانين مسلسلًا، وبيعت دار العلم بما فيها من الكتب مع سائر أمواله وقبضت، وبقي معتقلًا مدة ثم أطلق" (ابن النجار، ج١٧، ٦٧).

واستكمالاً للعمل المؤسسي للبيمارستان، كان لا بد من توفير خدمات مهمة لأهل البيمارستان والمقيمين به، ونقصد بها المهن البسيطة المسؤولة عن نظافة المكان والمقيمين به، إضافة إلى خدمات تجهيز الطعام، فعهد بذلك إلى جملة من القَومة والخدم تحت إشراف شخص مسؤول عن ذلك أمام ناظر البيمارستان (الصفدي، ٢٠٠٠، ج١٩، ١٧).

إضافة إلى ما سبق، فقد كان هناك مجموعة من المرافق الخدمية المساعدة التي توفر الخدمات للبيمارستان ونزلائه من المرضى، أهمها خزانة الشراب (الصيدلية) الملحقة بالبيمارستان، وقد عرفها أبو العباس القلقشندي على النحو التالي: "هي الخزانة المعبر عنها في زماننا، بالشراب خانة، وكان فيها من أنواع الأشربة والمعاجين النفيسة والمربيات الفاخرة وأصناف الأدوية، والعطريات الفائقة التي لا توجد إلا فيها. وفيها من الآلات النفيسة والآنية الصيني من الزبادي والبراني والأزيار ما لا يقدر عليه غير الملوك"(القلقشندي، (د ت)، ج٣، ٥٤٥).

وقد أشار العمري إلى وظيفة الصيدلي في ترجمة الشيخ الرازي وسبب تعلمه الطب أنه لما قدم بغداد دخل البيمارستان العضدي قال: "وكان سبب تعلمه الطب أنه لما أتى مدينة السلام دخل البيمارستان العضدي، فرأى الصيدلاني به، فسأله عن الأدوية" (العمري، ٢٠٠٣، ج٩، ٥٥).

وزود البيمارستان بمكتبة تضم المفيد من مخطوطات أبقراط وجالينوس وأطباء العرب، يجتمع فيها الأساتذة والطلاب بعد جولات الصباح، وكانت الكتب كثيرة ومتوافرة. (ابن أبي أصيبعة، ١٩٩٨، ١٩٨؛ الغامدي، ٢٠١٦، ٤٣).

وكانت المقبرة من جملة المرافق الملحقة بالبيمارستان، يدفن فيها من توفي فيه لا سيما أولئك الذين هم من غير أهل بغداد. وممن أشارت المصادر إلى دفنهم في هذه المقبرة: عبد الله بن صافي بن عبد الله (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وعبد الملك بن المبارك بن عبد الملك المعروف بابن القاضي (ت٦٠٩هـ/١٢١٢م)، وعمر بن الحسين بن يحيى بن أبي الفضل القزاز (ت٦١٢هـ/١٢١٥م) وعمر بن عبد العزيز بن محمد الخردلي (ابن النجار، ١٩٩٧، ج١٦، ٦٧؛ ج٢٠، ٤٧، ٦٧).

الوقف مصدر استمرارية البيمارستنان العضدي:

لعبت الأوقاف[٢٦] دورا أساسيا في توفير الخدمات العامة في المدينة

الإسلامية. بل نجد أن الوقف يتحمل أعباء توفير تلك الخدمات بسبب الظروف السياسية الصعبة التي أخذت تعيشها الدولة العباسية لاسيما بعد سيطرة المتغلبين على الحكم، مما حدا بالأمراء وأعيان الناس من الموسرين إلى التكفل بالقيام على توفيرها، من خلال إنشاء المؤسسات الخدماتية وتوفير مصادر استمراريتها من خلال الوقف عليها، لذلك لم يتعد دور الدولة منذ القرن الرابع الهجري الإشراف على تلك الأوقاف من خلال ناظر الوقوف العامة الذي استمدّ صلاحياته من قاضي القضاة.

وينطبق ذلك تماما على مشروع عضد الدولة الطبي (البيمارستان) فبعد أن فرغ من إنشائه، عمل على توفير الموارد المالية التي تعمل على استدامة مشروعه الحضاري، فكان الوقف هو الحل الأمثل لتحقيق غايته. وعلى الرغم من أن الروذراوي لم يحدد طبيعة تلك الأوقاف، إلا انه أشار إلى كثرتها وتنوعها "ووقف الوقوف الكثيرة عليه، ونقل أنواع الآلات والأدوية من كل ناحية إليه ما يدرك العيان بعضه إلى الآن". (الروذراوي، ٢٠٠٠ ج٧، ٨٩).

وقد ألقى ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، بعض الضوء على تلك الأوقاف المحبسة على مصالح البيمارستان "وقف عليه وقوفا كثيرة، وعمل له أرحاء بالزبيدية من نهر عيسى، ووقفها عليه". كما أنشأ إلى جواره سوقًا للبزازين، أوقفها على مصالح البيمارستان (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٤، ٢٩٢). وفي إشارة سبط ابن الجوزي عند حديثه عن تدهور حال البيمارستان في مطلع القرن الخامس الهجري، دلالة واضحة على عظم أوقافه، فقد أشار إلى اندثار سوق من أوقافه يحتوي على مائة دكان (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٩، ١٧؛ جواد وسوسة ١٩٥٨، ١٤٥).

توسعت مهام البيمارستان وزاد عدد مرضاه، فتطلب الأمر زيادة موارده لتتناسب مع تلك الزيادة؛ لذا نجده يلقى عناية بعض رجلات البويهيين بعد عضد الدولة، فأوقف شباشي الحاجب[٢٧] (ت ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م) قرية "دباها" على مصالح البيمارستان العضدي. وكانت تلك القرية مشتملة على الكثير من المزروعات والثمار (ابن كثير، ١٩٨٦، ج١٢، ٦). قال ابن عبد الحق في وصف دباها: "قرية من نواحي نهر الملك، من أعمال بغداد، من وقف البيمارستان العضدي" (ابن عبد الحق، ١٩٩١، ج٢، ٥١٢). والراجح أن ابن الجوزي كان يقصدها فيما أشار إليه من مقدار عوائدها السنوية من الغلة والمال بقوله: "كان ارتفاعها أربعين كرا[٢٨] وألف دينار" (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٥، ١٢٦).

وكانت قرية واسط كذلك من جملة أوقاف البيمارستان العضدي. قال ابن عبد الحق: "وواسط: قرية بنهر الملك، من وقف البيمارستان العضدي، بينها وبين بغداد قريب من أربعة فراسخ[٢٩]" (ابن عبد الحق، ١٩٩١، ج٣، ١٤٢٠).

وعلى الرغم من ذلك، فقد تأثرت أوقاف البيمارستان سلبا بالأحداث السياسية أواخر عهد الدولة البويهية التي حل الضعف في أركانها، فأصابها الإهمال والتعدي، بل اندثرت الكثير من أوقافه. كما أسهم هذا الإهمال في تمادي بعض المتنفذين على أوقافه. وممن أشارت المصادر إلى تغولهم على أموال البيمارستان وأوقافه شخص يهودي يدعى الهاردين، وكان قد عُين مشرفًا على البيمارستان من قبل القاضي أبي الحسين[٣٠] محمد بن المهتدي، فقام الهاردين باستغلال منصبه فـ "استولى عليه، وأكل أوقافه" (سبط ابن الجوزي ٢٠١٣، ج١٩، ١٧). وهناك شخص آخر يدعى أبا الحسن الغزنوي[٣١]، والذي أُجبر فيما بعد على إعادة ما استولى عليه، كما طولب بغلة تلك الأرض عن السنوات التي استولى بها عليها تلك الأرض (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨، ١١٠).

استمرت حالة الإهمال والتردي حتى مجيء السلاجقة وسيطرتهم على بغداد سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، فقد سعوا – تقربا للعامة - في إعادة تهيئة وتجديد المؤسسات الخدمية ومنها مرافق الرعاية الصحية، فنال البيمارستان العضدي حظه من الرعاية من جديد. وكانت الخطوة الأولى في هذا الصدد اختيار رجل كفءٍ يتولى مهمة النظر في أمره، وكان ذلك الشخص يدعى عبد الملك بن يوسف الملقب بالشيخ الأجل. فقد تولاه وهو يفتقر إلى مقومات البيمارستان "والمرضى ينامون على بواري[٣٢]" (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨، ١٠٩).

كانت الخطوة الأولى للناظر الجديد – والمؤيَد من السلطة- استعادته ما نُهب من أملاك البيمارستان وأوقافه من أيدي المتغلبين، ثم الشروع في عمارته وتنمية موارده. وقد تحقق له ذلك. ويبدو أن كثرة الأموال التي حصلها من المتغلبين، دفعته إلى توسيع دائرة أوقافه، فقام بشراء بعض الأراضي والعقارات، وأوقفها على مصالح البيمارستان (ابن الأثير، ٢٠١٠، ج٨، ٢١٥؛ سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٩، ١٧).

لم تتوقف رعاية الشيخ الأجل على توفير المصادر المالية وتنميتها، بل عمل غاية جهده على إعادة الألق للبيمارستان من خلال إعادة تعميره "فطبّقه بخمسة آلاف طابق، وقيل بعشرة آلاف طابق". كما عمّر السوق الذي اندثر، والذي كان ريعه لصالح البيمارستان (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٩، ١٧).

وبعد أن أكمل تجديد البيمارستان انتقل إلى إعادة تنظيمه وتوفير ما يلزم المرضى من الأطباء المتميزين في مختلف صنوف الطب، حتى بلغ عددهم ثمانية وعشرين طبيبا، إضافة إلى ما يحتاجه البيمارستان من أدوية وعقاقير، وأشخاص يقومون على تجهيز تلك العقاقير. وأضاف "الشيخ الأجل" خدمة جديدة في البيمارستان يبدو أنها لم تكن متوفرة من قبل، وتتمثل في توفير عدد من السفن الخاصة لنقل المرضى من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي من بغداد حيث مقر البيمارستان. أما الأطعمة، فقد توافرت بشكل لم تتوافر فيه من قبل، حتى بلغ الإنفاق على المقيمين به ألفا وثمان مئة وسبعين رطلا[٣٣] من الخبز وحده (سبط ابن الجوزي، ٢٠١٣، ج١٩، ١٧).

ويظهر أن المنطقة التي كان البيمارستان جزءا منها تحولت إلى محلة كبيرة حتى غدت تلك المنطقة كالمدينة، قال ابن جبير - الذي زار بغداد سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م: "بين الشارع ومحلة باب البصرة سوق البيمارستان، وهي مدينة صغيرة فيها البيمارستان الشهير ببغداد، وهو على دجلة" (ابن جبير، ١٩٨١، ١٨٠).

ومن جهود الخلفاء في مجال رعاية البيمارستان زيادة عدد أطبائه حتى بلغ عددهم في النصف الثاني من القرن السادس

الهجري ستين طبيبا، يجهزون بما يحتاجونه من أدوية وعلاجات من بيت المال (التطيلي، ٢٠٠٢، ٢٩٨).

ولقي البيمارستان عناية خاصة من لدن الخليفة الناصر لدين الله ٥٧٥-٦٢٢هـ/١١٧٩-١٢٢٥م. وتمثلت تلك الرعاية بتوفير ما يلزمه من أدوية وعقاقير. فبعد أن توفيت والدته السيدة زمرد خاتون سنة ٥٩٩هـ/١٢٠٢م أمر بحمل كل ما في خزانة قصرها من تلك الأدوية -والتي تقدر بآلاف الدنانير- إلى البيمارستان العضدي (أبو شامة، ١٩٧٤، ٣٣). كما قام الناصر بشراء بستان تاج الدين ابن رئيس الرؤساء وضمه إلى أوقاف البيمارستان العضدي (الأيوبي، ١٩٦٨، ١٧٣).

وحرص الخليفة الظاهر- رغم قصر مدة حكمة - على تفقد وزيارة البيمارستان وتفقد أحوال المرضى فيه (ابن الكازروني، ١٩٧٠، ٢٥٦).

كما شارك بعض أصحاب الجاه والسلطة في الوقف على مصالح البيمارستان العضدي. فقد أوقفت إحدى خواتين[٣٤] الخليفة المقتفي لأمر الله (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م) قرية اشترتها من الخليفة المقتفي نفسه على مصالح البيمارستان (ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٨، ١٠٨). وأوقف عبد الغني مِهتر[٣٥] الفراشين بدار الخلافة سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م داره على مصالح البيمارستان العضدي (مجهول، ١٩٩٧، ٢٩٧).

ولكن البيمارستان العضدي أصابه ما حلّ ببغداد سنة ٦٤٣هـ/١٢٤٥م من غرق، فقد "تجمَّر[٣٦] الماء بدجلة، وزاد زيادة عظيمة .... غرق منها: محلة الحربية والكرخ والبيمارستان " (مجهول، ١٩٩٧، ٢٧٣).

وعلى الرغم من أن الغرق أتى على معظم البيمارستان، إلا أنه عاد إلى العمل بعد مدة، يتضح ذلك مما أورده صاحب كتاب الحوادث في أحداث سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م أن كبير فراشي دار الخلافة عبد الغني قد أوقف داره على مصالح البيمارستان العضدي (مجهول، ١٩٩٧، ٢٩٧).

الخاتمة:

بعد استعراض التطور التاريخي والدور الحضاري للمارستان العضدي ببغداد، يمكن القول إن العمل الطبي سار بخط متواز مع التطورات الحضارية التي شهدتها مدينة بغداد منذ تأسيسها في عهد الخليفة المنصور، فقد أمر بإنشاء بيمارستانه ضمن المؤسسات الخدماتية في المدينة. وقد تتابع إنشاء الخلفاء وكبار رجالات الدولة للبيمارستانات في بغداد حتى بلغ عددها في القرن الرابع الهجري خمسة بيمارستانات.

ورغم هذه التطورات في العمل الطبي، إلا ان مهنة الطب شابها الكثير من التشوه، فقد تسرب إليها المتطفلون ممن لا يمتلكون المؤهلات الكافية لممارسة الطب ومداوة المرضى، والذي بدوره دفع بالخليفة المقتدر بالله إلى إصدار أوامره بإجراء اختبار لكل من يمارس المهنة، فمن ثبتت أهليته، سُمح له بممارسة المهنة. وقد تكللت رعاية الدولة في تنظيم مهنة الطب باستحداث وظيفة "رئاسة الطب" تتولى الإشراف على المهنة وتنظيم شؤونها، وكانت توكل لطبيب مشهور في وقته.

وكان إنشاء عضد الدولة لبيمارستانه أواخر القرن الرابع الهجري تتويجا لمأسسة العمل الطبي ببغداد. فلم يتوقف دور عضد الدولة على إصدار أمره بإنشاء البيمارستان، بل تعداه إلى متابعة أمر بنائه بنفسه، وأوكل في الوقت نفسه أمر اختيار المكان وتجهيزه إلى الطبيب المشهور أبي بكر الرازي.

ومن التطورات التي شهدها العمل الطبي في البيمارستان العضدي ظهور مفهوم الاختصاص الطبي، فقد قسم البيمارستان إلى أقسام مختلفة حسب الأمراض، وخصص لكل قسم أطباء أصحاب اختصاص. كما خصصت بعض قاعاته للتعليم الطبي النظامي. ولم يتوقف الأمر على ذلك بل ظهر تطور آخر تمثل في استحداث منصب الساعور - وهو ما يمكن أن نسميه المدير الطبي للمارستان-، مهمته الإشراف على الجانب الطبي، وتعيين الأطباء ومتابعة سير العمل في أقسامه. في الوقت الذي يتولى الناظر الأمور الإدارية والمالية للمارستان.

وكان للوقف دوره الرائد في استمرارية البيمارستان العضدي، فرغم تردي الأوضاع السياسية، إلا أنه ظل يقدم خدماته للمرضى حتى نهاية العصر العباسي.

الهوامش

(١) ويَعتبر أحمد زكي – والذي كان من أوائل من كتب عن تاريخ البيمارستانات في الإسلام -أن البداية الأولى لنشأتها في الإسلام تعود إلى الخيمة التي أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بإقامتها في المسجد بعد إصابة سعد بن معاذ في غزوة الخندق، "فضرب النبي خيمة في المسجد ليعوده" (ابن هشام ١٩٩٤، ج٢، ٢٣٩؛ عيسى ١٩٨١، ٩-١٠).

(٢) ارتبطت الأوقاف والعمل الخيري في الإسلام بمفهوم الصدقة الجارية. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له". الترمذي ١٩٩٨، حديث رقم ١٣٧٦.

(٣) للمزيد، انظر على التوالي: اليعقوبي، ١٩٩٩م، ج٢، ٢٠٤؛ القضاعي١٩٩٧، ١٦٨؛ ابن العبري ١٩٩٧م، ١٠٠؛ القلقشندي ١٩٨٧، ج١، ٤٩١.

(٤) أشار ابن أبي أصيبعة إلى أن الرشيد اعتل علة صعبة فعالجه الأطباء فلم يجد من علته إفاقة، فذكر له أن بالهند طبيبا يقال له "منكهن" فأرسل الخليفة يستدعيه. عيون الأنباء، ٣٧٥.

(٥) جورجيوس بن جِبْرَائِيل كانت له خبرة بصناعة الطب ومعرفة بالمداواة وأنواع العلاج وخدم بصناعة الطب المنصور وكان حظيّا عنده رفيع المنزلة ونال من جهته أموالا جزيلة. (ابن أبي أصيبعة ١٩٩٨، ١٨٣).

(٦) مدينة بخوزستان (عربستان في جنوب إيران) بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه وأسكنها سبي الروم وطائفة من جنده.

ياقوت ١٩٩٥ ج٢، ١٧٠.

(٧) وكان المتولي لأمر البيمارستان يوحنا بن ماسويه، الطبيب الخاص للخليفة هارون الرشيد. (القفطي ١٣٢٦هـ، ٢٥٥-٢٥٦).

(٨) هو قائد جيش الخليفة المعتضد. قتل بعد أن تولى الخلافة المكتفي، وكان ذلك سنة ٢٨٩هـ. ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٣، ٨-١٠.

(٩) محلة بين الرصافة ونهر المعلى. ياقوت، ١٩٩٥، ج٥، ٧١-٧٢.

(١٠) هو ابن الطبيب المشهور ثابت بن قرة، طبيب الخليفة المعتضد. وأصل هذه الأسرة الطبية من حران. للمزيد، انظر: النديم ١٩٩٧، ٣٣٣؛ ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٢، ٤١٨؛ ابن العبري ١٩٩٧، ١٣٩؛ القفطي ١٣٢٦هـ ٨٠-٨٢، ١٣٠-١٣٢؛ ابن خلكان ١٩٧٦، ج١، ٣١٣-٣١٤.

(١١) محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. (ياقوت ١٩٩٥، ج١، ٣٠٨).

(١٢) محلة ببغداد بالجانب الشرقي كانت بين الرصافة ودار المملكة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة، منسوبة إلى يحيى بن خالد البرمكي كانت إقطاعا له من الرشيد. (ياقوت ١٩٩٥، ج٣، ٢٨٤).

(١٣) انظر ترجمته وأخباره: مسكويه ٢٠٠٠، ج٥، ٥١، ٥٨، ١١٣، ١٤٩، ٣٢٤؛ الصابئ ١٩٥٨، ١١؛ ابن خلكان ١٩٧٦، ج٣، ٤٢١-٤٢٣.

(١٤) وكان ذلك سنة ٣٢٥هـ/٩٣٦م. ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٣، ٣٦٦.

(١٥) كان ذلك عام ٣٣٤هـ/٩٤٥م. عن السيطرة البويهية على بغداد، انظر: مسكويه، ٢٠٠٠، ج٥، ٤٤٤؛ الدوري، ١٩٤٥، ٢٣٧-٢٩٠؛ Arlond,1967,p62-63؛ سترتشنن مادة البويهيون، ج٤، ٣٥٤-٣٥٨؛ الكروي ١٩٨٢، ٨٢-٨٤؛ منينمة ١٩٨٧، ١٨١-١٨٧.

(١٦) من أهم تلك الأوقاف قرى بكلواذى، وقطربل، وجراجرايا من أعمال النهروان. ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٣، ١٧٥

(١٧) هو أبو الحسين بجكم المكاني. تركي الأصل كان يفهم العربية ولا يتكلم بها. تولى منصب أمير الأمراء زمن الخليفة العباسي الراضي بالله عام ٣٢٦ هجرية. وكانت وفاته سنة ٣٢٩هـ. انظر: الذهبي ٢٠٠٣، ج٧، ٢١٧، ٤٢٢، ٤٢٧، ٤٣٠.

(١٨) ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٧، ٣١٥. للمزيد عن جهود الخلفاء العباسيين في سبيل استعادة نفوذهم وسيطرتهم: Rashad, 1963, p22-63.

(١٩) عن جهود الناصر للنهوض بمؤسسة الخلافة، انظر: 1G,marcais,ALnaser Lidin allah,EI؛ فوزي ١٩٩٨: ١٨١.

(٢٠) الساعور كلمة سريانية معربة، تعني تفقد المرضى. وكانت مسؤوليته ترتبط باختيار الأطباء حسب اختصاصاتهم، وتَفقد الأقسام الطبية المختلفة في البيمارستان، إضافة لعمله كطبيب (ابن أبي أصيبعة ١٩٩٨، ٣٤٩).

(٢١) فارسي معرب، وهو نوع من السكر شديد الحلاوة. ابن منظور١٩٩٧، ج٣، ٤٩٧.

(٢٢) أوعية لحفظ التمر. ابن منظور ١٩٩٧ ج٥، ١٠٤، ٤٠٢

(٢٣) وعاء من قصب، تعمل لأجل حفظ التمر. تاج العروس، مادة (قصر)، ج١٣، ٤٣٢.

(٢٤) الترياق: ما يستعمل لدفع السمّ. ابن الجوزي ١٩٨٥، ج١، ١٠٦.

(٢٥) مدينة بناها عضد الدولة بقرب شيراز. القزويني، (د. ت)، ٢٤٥.

(٢٦) الوقف: لغة الحبس والمنع. وهو مصدر وقف، يقال: وقفت الدار، إذا حبستها (الجرجاني ١٩٩٢، ٣٢٨). ثم اشتهر الوقف بمعنى الموقوف، من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول، كالرد والغيب فيقال: هذا البيت وقف، أي موقوف، ومن هنا جمع على أوقاف. ابن منظور، ١٩٩٧، ج١٥، ٣٧٤-٥. والوقف عند الفقهاء – رغم اختلافهم في صيغ التعريف- تجمع بمجملها على الإطار العام للمفهوم، وهو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة. (انظر تعريف الحنفية: ابن عابدين، ١٩٦٦، ج٤، ١٣٦. وتعريف المالكية لدى: الحطاب، (د. ت)، ج٦، ١٨. كذلك تعريف الشافعية في مغني المحتاج، ج٢، ٣٦٧. أما تعريف الحنابلة فعند بن قدامة المقدسي ١٩٨٥، ج٨، ١٨٤).

(٢٧) هو الحاجب أبو نصر شباشي، مولى شرف الدولة البويهي. وكان كثير الصدقات وأعمال البر. توفي ببغداد سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧مـ ابن الجوزي، ١٩٩٢، ج١٥، ١٢٦.

(٢٨) الكُرَّ: مكيال بابلي الأصل. ويساوي ٢٩٠٠كغم تقريبا. هنتس ١٩٧٠، ٦٩-٧٠.

(٢٩) يعادل الفرسخ ٦ كم تقريبًا. هنتس ١٩٧٠، ٩٠.

(٣٠) انظر ترجمته: ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٨، ١٠٨؛ ابن الأثير ٢٠١٠، ج٨، ٦٨١؛ الذهبي١٩٨٥، ج٢٠، ٣٢٤.

(٣١) أبو الحسن علي بن الحسين الغزنوي: قدم بغداد في سنة ست عشرة فسمع الحديث على مشايخنا، وكان يعظ وكان مليح الإيراد لطيف الحركات، فأمرت خاتون زوجة المستظهر فبُنى له رباط بباب الأزج ووقفت عليه الوقوف، وصار

له جاه عظيم، وكان السلطان يأتيه فيزوره. توفي سنة ٥٥١هـ/١١٥٦م. ابن الجوزي ١٩٩٢، ج١٨، ١٠٨.

(٣٢) البواري: الحُصر المنسوجة من القصب. دوزي ١٩٧٩ ، ج٨، ٣٢٩.

(٣٣) يعادل ٤٠٦ غرام. هنتس ١٩٧٠، ٣٥.

(٣٤) الخاتون: لفظ تركي، معناه السيدة الجليلة. الباشا ١٩٧٨، ٢٦٤.

(٣٥) مِهتر: كلمة فارسية، تعني كبير كل طائفة من الغلمان، مثل مهتر الفراشين. السامرائي ١٩٨١، ٨٣.

(٣٦) تجمّر الماء: تجمع وأقام . ابن منظور ١٩٩٧، ج٤، ١٤٦.

المراجع

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني (٢٠١٠). الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط ١، بيروت، دار الكتاب العربي.

الإربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (١٩٧٤). خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، وقف على طبعه وتصحيحه مكي جاسم، ط ١، بغداد، مكتبة المثنى.

ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس (١٩٩٨). عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت، دار الكتب العلمية.

الباشا، حسن (١٩٧٨). الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، دار النهضة العربية.

الترمذي، محمد بن عيسى (١٩٩٨). السنن، تحقيق بشار عواد، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

التطيلي، بنيامين بن يونة (٢٠٠٣). الرحلة، ط ١، أبو ظبي، منشورات المجمع الثقافي.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل (٢٠٠٠). فقه اللغة وسر العربية، تحقيق عبد الرزاق المهدي، بيروت، إحياء التراث العربي.

ابن جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (١٩٨١). رحلة ابن جبير، بيروت، دار ومكتبة الهلال.

الجرجاني، علي بن محمد (١٩٩٢). التعريفات، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط ٢، بيروت، دار الكتاب العربي.

جواد، مصطفى؛ سوسة، مصطفى، أحمد (١٩٨٥). دليل خارطة بغداد قديما وحديثا، ط ١، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧/١٢٠٠م). المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢.

الحطاب، أبو عبد الله محمد المغربي (د. ت) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، بيروت، دار الفكر.

ابن خلدون، عبد الرحمن (١٩٩٨). ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر (تاريخ ابن خلدون) تحقيق خليل شحادة، ط ٢، بيروت، دار الفكر.

ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم (١٩٧٦). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.

الدوري، عبد العزيز (١٩٤٥). دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد، مطبعة السريان.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (١٩٨٥). سير أعلام النبلاء، تحقيق لجنة بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط ١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (٢٠٠٣). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق بشار عواد، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن (٢٠٠٥). ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الرياض، مكتبة العبيكان.

الروذراوي، أبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد (٢٠٠٠). ذيل تجارب الأمم، منشور مع كتاب مسكويه تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط ١، طهران، مطبعة سروش.

السامرائي، إبراهيم (١٩٨٦). التكملة للمعاجم العربية من الألفاظ العباسية، ط ١، عمان، دار الفرقان.

السامرائي، إبراهيم (١٩٨٧). المجموع اللفيف: معجم في المواد اللغوية والتاريخية والحضارية، عمان، دار عمار.

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله (٢٠١٣). مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق الجزء التاسع عشر: محمد الخن وكامل الخراط، بيروت، الرسالة العالمية.

سترتشن، "مادة البويهيون"، دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية).

سورينا، جان شارل (٢٠٠٢). تاريخ الطب، ترجمة إبراهيم البجلاتي، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٨١.

أبو شامة، أبو محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل (١٩٧٤). تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين،

ط٢، صححه الشيخ محمد زاهد الكوثري، بيروت، دار الجيل.

الصابئ، أبو الحسن الهلال بن المحسن الصابي (١٩٥٨). الوزراء تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، القاهرة، مكتبة الأعيان.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (٢٠٠٠)، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث.

الطبري، محمد بن جرير (١٩٦٧). تاريخ الطبري، بيروت، دار التراث العربي.

ابن عابدين محمد أمين (١٩٦٦). حاشية ابن عابدين، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي.

ابن العبري، أبو الفرج غريغويوس الملطي (١٩٩٧). مختصر أخبار الدول، وضع حواشيه خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق، صفيّ الدين (١٩٩١). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار الجيل، بيروت.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (١٩٩٥). تاريخ دمشق، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلي (١٩٨٦). شذرات الذهب في خبر من ذهب، تحقيق محمود الأرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير.

العلوجي، عبد الحميد (١٩٦٧). تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة أسعد.

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي، شهاب الدين (٢٠٠٣). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، أبو ظبي، المجمع الثقافي.

عيسى، أحمد (١٩٨١) تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، دار الرائد العربي.

الغامدي، رفعة (٢٠١٦). المارستان العضدي في بغداد ودوره الطبي والتعليمي، مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش، جامعة عين شمس، القاهرة، مج ٣٣، ٢٠١٦.

فوزي، فاروق عمر (١٩٨٩). الخليفة الداهية الناصر لدين الله، ط١، بغداد: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

ابن الفوطي، كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد (١٩٩٥). مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق محمد الكاظم، قم/ إيران، مؤسسة الطباعة والنشر.

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (د. ت). آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر.

القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر (١٩٩٧). عيون المعارف وفنون الخلائق، تحقيق عبد الرحيم محمد، عمان، دار الينابيع للنشر.

القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف (١٣٢٦هـ). أخبار العلماء بأخبار الحكماء، مصر، مطبعة السعادة.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (١٩٨٧). صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ط ١، شرحه وعلّق عليه محمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن الكازروني، علي بن محمد البغدادي (١٩٧٩). مقامة في قواعد بغداد، تحقيق كوركيس عواد وميخائيل عواد، بغداد، نشرت في مجلة المورد، مجلد ٨، عدد ٤.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري (١٩٨٦). البداية والنهاية، بيروت، دار الفكر.

الكروي، إبراهيم (١٩٨٢). البويهيون والخلافة العباسية، ط ١، الكويت، مطبعة دار العروبة.

مجهول (١٩٩٧). كتاب الحـــوادث، تحقيق بشار عواد وعماد عبد السلام، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (٢٠٠٠). تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم إمامي، ط ١، طهران، مطبعة سروش.

معروف، ناجي (١٩٦٨). مستشفيات بغداد في العصر العباسي، مجلة كلية الشريعة، جامعة بغداد، العدد ٤.

المقدسي البشاري، محمد بن أحمد بن البناء (١٩٧٨). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

المقدسي، عبد الله بن قدامة الحنبلي (١٩٨٥). المغنـــي، تحقيق عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، مصر، دار هجر.

المنذري، زكي الدين أبو محمد بن عبد العظيم (١٩٨١). التكملة لوفيات النقلة، تحقيق بشار عواد، بيروت، مؤسسة الرسالة.

ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٧). لسان العرب، ط ٣، بيروت، دار صادر.

منينمة، حسن (١٩٨٧). تاريخ الدولة البويهية، بيروت، الدار الجامعية.

ابن النجار، أبو عبد الله محمد بن محمود (١٩٩٧). ذيل تاريخ بغداد، منشور مع تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي (١٩٩٧). الفهرست، تحقيق إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة.

ابن هشام عبد الملك المعافري (١٩٩٤). السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

هنتس، فالتر (١٩٧٠). المكاييل والموازين الإسلامية وما يعادلها بالنظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان، منشورات الجامعة الأردنية.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (١٩٩٥). معجم البلدان، ط ٢، بيروت، دار صادر.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (١٩٩٣). معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (١٩٩٩). تاريخ اليعقوبي، علق على حواشيه خليل منصور، بيروت، دار الكتب العلمية.

المراجع الأجنبية

Arlond, Thomas, The Caliphate, Routlege and Kegan paulltd, London,1967

Rashad, Abdul munim,The Abbasid Caliphate (575-656HD/1179-1258). London, University Of London, 1963

G,marcais,ALnaser Lidin allah,5